



تطهر الدول الاستعمارية نفسها دوما، في حالة تطابق مع مصالح الجمهور العام لشعوب الدول التي تستهدف احتلالها، وينذكر الجميع كيف حاول نابليون بونابرت خداع المصريين حين أرسل لهم رسالة وهو في عرض البحر قادما لغزو بلادهم، تحدث فيها عن أنه قدم لتخلصهم من طغيان البكوات والممالئك، وأنه ليس عدوا للإسلام بل هو صديق وحامٍ للإسلام.

وفي لعبة خداع الشعوب من قبل المستعمرين، تتعدد وسائل الخداع وتختلف الأدعيَّة الإيهام ببني المستعمرين لمصالح الشعوب. فهناك أساليب تعتمدها الدول الاستعمارية الغربية التي تحاول إخفاء أهدافها "العقائدية-الأيديولوجية"، خلف برامجها ونظمها التعددية.

وهناك أساليب أخرى تعتمدها الدول صاحبة النظم الأيديولوجية أو الشمولية أو العقائدية حيث تعمد إلى تقديم نفسها في صيغة اندماجية مع الشعوب المستهدفة احتلالها أو مع قطاع سكاني في داخلها. أو تقدم الدول الاستعمارية الغربية نفسها كصاحبة مصلحة مشتركة مع الشعوب المستهدفة احتلالها عبر طرح وتصدير شعارات سياسية للشعوب (تحقيق الديمقراطية - القضاء على الديكتatorية - التنمية المستدامة - التنوير والحداثة.. الخ) فيما تكون أهدافها على العكس تماما من شعاراتها (تنصيب ديكتاتور أكثر ولاء لها - استنزاف ثروات الشعوب).

فالنظم الأيديولوجية غالبا ما تطرح نفسها في حالة الاندماج أو تطابق تام عقائدي أو أيديولوجي كامل، مع الشعوب ويشكل خاص مع الكتل السكانية المستهدفة داخل الدول المستهدفة استعمارها، فيما هي تستهدف تحريك تلك الكتل السكانية - التي تدعى الاندماج معها - كجنود ووقود في معاركها الاستعمارية في داخل مجتمعاتها، أو أن تشكل منها سياجا يشرقيا

مقاتلا لحماية بلادها هي وتحقيق مصالحها هي.

وفي كلا الحالتين، تعتمد الدول الاستعمارية، أسلوب شيطنة الخصوم أو الدعاية السوداء ضد خصومها الرافضين والمقاومين، في البلد المستهدف احتلاله (أساليب الشيطنة الإعلامية والسياسية- زعم عداء هؤلاء الخصوم للفئات المستهدفة نقل تحيزاتها لمصلحة المستعمر)، وهي تجعل تلك الشيطنة أساساً لشن الحرب أو لاستمرارها في الحرب ضد المقاومة بعد احتلال الدول.

وفي كلا الحالتين أيضاً، تلجم الدول الاستعمارية القيام بأعمال قتل إجرامية بشكل عشوائي ضد الشعب الذي يشكل حاضنة للمقاومين للمستعمر، بهدف كسر إرادته الدافعة له للالتفاف حول الحكم المستهدف خلعه أو المقاومة الراضة للاحتلال.

غير أن هناك دول استعمارية تلجم إلى ما يوصف بالأعمال القذرة، إذ ترتكب أعمال قتل مريرة ضد ذات الفئات المستهدفة التحالف معها - أو المدعى أنها هي والمستعمر في قارب واحد سياسي أو عقائدي - ثم تنسب هذه الأفعال الإجرامية للخصوم الرافضين للاحتلال، وذلك بهدف النقل الإجباري لمواقف ومواقع تلك الكتل السكانية من الصراع تحت الخوف والرعب، ولجعلها كتل جماهيرية متمسكة تتحرك باتجاه الولاء للمستعمر الذي يصبح منقذها لها، وذات موقف عدائٍ من خصوم المستعمر، أو لدفعها للمغادرة من منطقة إلى منطقة أو من بلادها إلى بلد آخر، لتكوين جيوش مساندة لأعمال الاحتلال.. الخ.

وما يلفت النظر بشدة، هو أن نجد بلدين يدعيان الخصومة والخلاف والصراع ويدعيا الاختلاف الفكري والعقائدي والمصلحي مع بعضهما البعض - إلى حد التناقض والتهديد بالحرب - فيما هما يمارسان نفس الأساليب القذرة، كل منهما ضد حلفائه هو، وكأنهما يقرآن من كتاب واحد ويعملان وفق نفس الأخلاقيات، ويعتمدان نفس الخطط والتكتيكات الإجرامية لتغيير مواقف حلفائهم - المدعين - عبر قتالهم باغتيالهم أو بالتجنيد العشوائي.

وإذا قد يكون طبيعياً أن يدرس كل خصم خصمه، فاللافت هو أن يتوحد الخصم على اعتماد الأساليب نفسها، فتلك حالة تعكس طبيعة الارتباط والتكامل والتطابق بين الخصميين، وتكشف مدى تحالفهما لا تخاصمهما ومدى قربهما الأيديولوجي والقيمي والأخلاقي لا خلافهما.

وتلك هي قصة التوافق والتوحد بين إيران (الصفوية الفارسية الشيعية) والكيان الصهيوني (اليهودي) العنصري، إذ يجمعهما اعتماد نفس أساليب وطرق التعامل مع الفئات التي يدعى كلاً منها حرصه عليها واندماجه الفكري أو العقائدي أو الأيديولوجي معها، وهو ما يظهر توحد الخلفية الفكرية والقيمية والأخلاقية، الباعثة والمحكمة في السلوك بين كل من إيران والكيان الصهيوني.

لقد اعتمد كلاهما أساليب العنف الدموي ضد الشعوب المراد استعمارها، تحت عنوان الانتقام للمظلومية التاريخية (الشيعة - اليهود)، كما كلاهما نمط واحد من الاستعمار، هو الاستعمار الاستيطاني (يهجر الشعوب من أرضها).

وكلاهما يعتمد نمط الإبادة الحضارية والعقائدية (إحلال حضارات وعقائد أخرى)، لكن اللافت، أن كلاهما قام بأعمال قتل للمواطنين الذين يدعى نصرتهم والعمل من أجلهم، بهدف نقل مواقفهم لتصبح مرتبطة بهما، إذ هو بقتلهم فيما يظهر نفسه كمنفذ لهؤلاء المدعى الاندماج الفكري أو المصلحي معهم. وإن أعمال القتل التي يرتكبها كلاهما جرت وتجري وفق ألاعيب قفرة، تتعمد إلصاق عمليات القتل - التي يقوم بها كل من الدولتين - بالخصوم والأعداء.

في إيران الصفوية تقتل الشيعة بطرق سرية لنقل مواقفهم إلى صفها، والعصابات والدولة الصهيونية قتلت اليهود بطرق سرية

وألصقت الاتهام بغيرها لتنقل مواقف اليهود إلى صفتها ولتحقق أهداف هجرتهم إلى فلسطين المحتلة .. الخ!

الصهاينة يقتلون اليهود:

لقد كشف التاريخ كيف أن قادة الحركة الصهيونية - ومن بعدهم العصابات مثل الهاجاناه واشتيرن وغيرها - قاموا بأعمال قذرة دوما ضد اليهود، لتغيير اتجاهات فكرهم أو حركتهم أو تخويفهم من البقاء هنا أو هناك أو إجبارهم على الرحيل إلى (إسرائيل)، وقد تعاونوا في سبيل ذلك مع أعدائهم المفترضين كالنازية، لأجل قتل اليهود بقصد التأثير على مواقفهم وقراراتهم، لصالح أهداف الحركة الصهيونية.

لقد عُرف اليهود كقوم لا يحفظون أمننا ولا يحترمون اتفاقاً أو تعهداً قطعوه على أنفسهم مع حلفائهم أو خصومهم، وإذا كانت العودة إلى تاريخ النبوة تعطي خير الأدلة، فإن التاريخ لم يغير هذا الأمر فيهم - ثقافة أو قيماً أو سلوكاً - بل أزداؤها إيغالاً في هذا المجال، فقد غدروا وقتلوا حلفاءهم الذين يمدونهم بالمال والسلاح ويؤمنون لهم البقاء - أو لو لاهم لانتهت حالة الكيان الصهيوني - وهو فعل تكرر وفق وقائع تاريخية مثبتة ومحققة.

فإذا قامت القوات الصهيونية بتصفية سفينة التجسس الأمريكية (لبيرتي) خلال الحرب على الدول العربية في عام 1967، وقد أثبتت التحقيقات الأمريكية أن قصف لبيرتي كان قراراً عسكرياً إسرائيلياً اتخذ على أعلى مستوى في الكيان الصهيوني، وجرت عملية القصف الأمريكية فيما كانت الحكومة الأمريكية تبذل كل جهدها في دعم الكيان الصهيوني بالمال والسلاح والمساعدة الدبلوماسية.

و ضمن نفس السلوك جرت فضيحة لافون - نسبة لاسم وزير الدفاع الصهيوني - الذي أصدر قراراً بالقيام بعمليات تفجير وقتل تطال اليهود والأمريكيين والبريطانيين وغيرهم على الأرض المصرية سنة 1954، بهدف دفع اليهود للهجرة من مصر، وللإيقاع بين مصر والدول الغربية، وإظهار عدم قدرة الحكم في مصر على حماية اليهود وعلى حفظ أمن الأجانب، وقد اكتشف الأمر واعترف المجرمون بعلاقتهم بالمخابرات الصهيونية وبأهداف العملية .. الخ.

غير أن الأكثر تأكيداً على جرم الصهاينة واستخدامهم أعمال القتل حتى ضد اليهود، هو ما كان قد جرى خلال الحكم النازي. فرغم اعتماد اليهود والصهاينة مرثية تاريخية عن جرائم النازيين ضد اليهود، إلا أن الوثائق والتحقيقات التاريخية ومذكرات القادة الصهاينة أنفسهم، أثبتت قيام تحالف بين الصهاينة والنازيين، بهدف دفع اليهود للخروج من ألمانيا، كل لأسبابه، فإذا رفع النازيون شعارات طرد اليهود على خلفية موقفهم المساند للحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية، وضمن منظومة نقاء ألمانيا من اليهود، فقد استهدف الصهاينة طرد وإخراج اليهود من ألمانيا وفق مخطط إجبارهم على الهجرة إلى فلسطين لزيادة أعداد اليهود على أرضها تمهدًا لاحتلالها وإعلان قيام دولة الكيان الصهيوني على أرضها. وقد وصل أمر هذا التحالف حد مشاركة الصهاينة في الأجهزة الأمنية النازية التي كانت ترتكب أعمال القتل ضد اليهود.

إيران تقتل الشيعة:

هذا الذي جرى على يد الصهاينة ضد اليهود، هو ذاته الذي جرى من إيران الفارسية الصفوية ضد الشيعة العرب، بما يظهر نظرية إيران الحقيقة لهم إذ تعتبرهم مجرد قواد في معاركها ضد الدول العربية. لقد اعتمد الصفويون الفرس استراتيجية إبادة وقتل وإبادة وتهجير الشيعة العرب في الأحواز - وغالب أهل الأحواز شيعة عرب - وما زالوا حتى الآن يعانون، بل وامتدت أعمال القتل الإيرانية وفق أساليب الأعمال الفزرة لتطال الشيعة العرب في المنطقة العربية من العراق إلى سوريا إلى لبنان إلخ، في تكرار لذات اللعبة الصهيونية التي جرت في فضيحة لافون وفي التحالف مع النازيين في ألمانيا.

لقد ارتكبت أجهزة المخابرات الإيرانية أعمال قتل قذرة ضد الشيعة، فيما لعبت أجهزة إعلامها لعبة نسبة تلك الأعمال الإرهابية للسنة والمقاومة وتيارات أخرى، وكل ذلك بهدف دفع الشيعة العرب للتحول إلى الارتباط بإيران والنظر إليها كمنفذ لهم، تحت ضغط أعمال القتل تلك.

ومعلوم كيف جرت أعمال التصفية التي تعرض لها الشيعة المنضوون تحت يافطة نبيه بري خلال الحرب الأهلية اللبنانية في الثمانينيات من القرن الماضي، على يد حزب نصر الله بقيادة الإيرانية.

ومع دخول إيران لعبة الصراع وال الحرب داخل العراق بعد الاحتلال الأمريكي، كان الشيعة العرب هم أول من طالتهم آلة القتل الإيرانية وفق أساليب الحرب القذرة على أيدي المخابرات الإيرانية، ولقد استهدفت إيران عبر تلك الأعمال نقل مواقف الشيعة العرب في العراق للارتباط بإيران على حساب الارتباط الوطني، فجرى استخدام سلاح الاغتيالات والملاحقة العسكرية وأعمال التفجير العشوائي، منذ اليوم الأول للاحتلال وحتى الآن.

جرت أعمال الاغتيال الإيرانية ضد الشيعة مبكراً وقبل أن تبدأ معارك إيران واغتيالاتها وجرائمها ضد المواطنين السنة، فتم اغتيال قيادات شيعية فور عودتها للعراق من بريطانيا، وهي حالة متعددة حتى الآن، وقد تابعنا ما حدث مع مجموعة المرجع الخالصي الرافض لولي الفقيه، إذ جرت ملاحنته ومحاولته قتله وملاحقة أنصاره، بل جرى هدم منزله وتهجيره.

وقد جرى الإعلان أكثر من مرّة عن تورط المخابرات الإيرانية بأعمال تفجير عشوائية في المناطق الشيعية ببغداد لتعزيز الصراع بين السنة والشيعة في العراق ودفع الشيعة العرب للتحول بنظرتهم لإيران من العدو - الذي جرى قتاله خلال الحرب العراقية الإيرانية - إلى المنقذ لهم، وقد صدرت الكثير من الاعترافات والأحاديث عن قيادات شيعية عراقية بوقوف أجهزة الاستخبارات الإيرانية خلف الأعمال الموجهة للشيعة، وأن تلك العمليات تجري تحت عنوان تحقيق الأمان القومي الإيراني.

وكان الحدث الأكبر والأخطر هو ما جرى في تفجيرات سامراء التي طالت مزارات شيعية، وأحدثت حرباً أهلية مصفرة في العراق، حرق خاللها ما يقرب من مائة مسجد للسنة وقتل خاللها عشرات الآلاف من السنة، وقد توصلت التحقيقات الأمريكية لمسؤولية إيران عن تلك العمليات، وفق ما أعلن قائد قوات الاحتلال الأمريكية بالعراق في تلك الفترة جورج كيسى، الذي قال بأن فيلق القدس هو المتورط بتنفيذ تلك العمليات، وأن العبوات الناسفة المستخدمة في التفجيرات كان مصدرها إيران، وأنه أبلغ رئيس الوزراء نوري المالكي بذلك.

القتل.. سر إطالة كلّيهما أمد التفاوض!

هكذا، وفي ظل اعتماد خطة نقل القطاعات السكانية "الحليفة" من موقف إلى موقف بقوة الخوف وعبر إسالة دمائها، كان ضرورياً أن تعتمد كل من إيران الصفوية الفارسية والكيان الصهيوني اليهودي مخطط إدامة الصراعات وعدم الوصول إلى حلول واعتماد لعبة التفاوض الميت وسيلة للتعامل مع الضغوط التي يتعرض لها كلاهما دون التخلّي عن "الخط العام" المعتمد في إدارة صراعاتهما لتحقيق حالة السيطرة على أراضي الغير، إذ هما بحاجة إلى وقت أطول يتمكنا فيه من ترحيل السكان أو نقل مواقفهم، إذ تغيير المجتمعات أو إحداث تغيرات تتعلق بنقل قطاعات سكانية جغرافياً من مناطق حياتها وحياة الأجداد، وسياسياً إلى عكس مصالحها الوطنية، أمور تحتاج لدورة وقت طويلة وهو بذلك يختلف عن حالات الاستعمار التقليدي، التي تنتهي لعبتها بمجرد كسر إرادة الشعوب على المقاومة.

ولذا وجدنا إيران والكيان الصهيوني يتبنّيان نفس المدرسة في إدارة التفاوض، لقد رأينا كيف أن الكيان الصهيوني ما يزال في حالة تفاوض مع قيادة السلطة الفلسطينية منذ سنوات - أكثر من 20 عاماً - بعد توقيع أوسلو (1993)، دون الوصول

لاتفاق، ورأينا كيف حول الصهاينة عمليات التفاوض إلى لعبة تفاوض من أجل التفاوض، فيما هم يمارسون أعمال الاستيطان وترحيل السكان وتهويد الأقصى، تحت ظلال العمليات العسكرية، كما رأيناهم يمارسون القتل بالحرب أو بالاغتيال وهم يتفاوضون!!

وهو نفس المنهج الذي اعتمدته إيران، إذ خربت إيران سوريا والعراق واليمن قتلا وتهديما، فيما هي تشغل العالم بتفاوضات الملف النووي.

لقد اعتمدت إيران استمرار أعمال القتل والتفجير في سوريا ومنعت وصول الثوار إلى السلطة، فيما كانت تعمل لأجل نقل مواقف الشيعة إلى درجة الاندماج في مشروعها الاستعماري، كما أرسلت ميلشياتها - من أفغانستان وباكستان والعراق - لدعم مخططها للسيطرة على السلطة، إذ هي تعتبر الأسد مجرد حليف مؤقت ينتهي دوره بتغيير الولايات في جيشه وحزبه وشبيحاته ليكونوا في خدمة مشروعها هي.

وفي العراق، أطالت عمر كل أشكال التفاوض الداخلي والخارجي - بما ذلك مفاوضات تشكيل الحكومات. للحصول على أكبر وقت ممكن لممارسة أعمال القتل والإرهاب لإحداث التحول الكامل في مواقف الشيعة العرب ليصبحوا في وضع الاندماج مع فكرة الولي الفقيه بأبعادها الاستراتيجية لا العقائدية فقط.

وفي أفغانستان لم يحتجّ ويرفض قيام الولايات المتحدة بالتفاوض مع طالبان إلا إيران!

وأخيرا، فللحصة بعد آخر، إذ مما هو راسخ أن السياسات الخارجية ليست إلا امتداداً للسياسات الداخلية، ولما تشابهت السياسات الداخلية الصهيونية والإيرانية، كان طبيعياً أن تتشابه سياسات كليهما في الخارج.

الراصد

المصادر: